رابطة العالم الإسلامي

المجمع الفقهي الإسلامي

مؤتمر الانحرافات الفكرية بين
حرية التعبير ومحكمات الشريعة

آثار ونتائج الانحرافات الفكرية
(الإلحاد نموذجاً)

أنور بن قاسم الخضري
باحث وكاتب في مركز التأصيل للدراسات والبحوث

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يعود الإلحاد مجددا ليكون ظاهرة فكرية حاضرة في ظل ظروف عصيبة تمرُّ بها المنطقة وتعصف بوجودها وهويتها ومقدراتها. وفي حين تسعى الأمة للوقوف على أقدامها في مواجهة حالة الاستلاب والغيبوبة الحضارية يأتي خطاب التشكيك في الثوابت والمقدسات ليقف في طريق اليقظة والنهضة، وليصرف الجهود عن التقدم والبناء إلى التضعضع والجدل!

لقد بات موضوع «الإلحاد» مشكلة فكرية يدور حولها سجال إعلامي ونقاش فلسفي وصراع أيديولوجي؛ خاصة وأن وسائل إعلام مختلفة ومراكز أبحاث متعددة تتحدث عن ارتفاع نسبة زيادة هذه الظاهرة في العالم الإسلامي والمنطقة العربية خصوصا. فعلى سبيل المثال:

- أجرى «معهد غالوب الدولي» استطلاعا عام ٢٠١٢م، في ٥٧ بلدا، شمل آراء ٥٠ ألفا من المستوجبين، وصدر تحت عنوان: «مؤشر عام حول الدين والإلحاد»، وإجمالا، يعتقد ٥٩٪ من المستجوبين عبر العالم أنهم دينيون مقابل ٢٣٪ يرون أنفسهم غير دينيين و١٣٪ يؤكدون أنهم ملحدون. وتختلف النسب العامة من بلد لبلد آخر. وقد حصلت المملكة العربية السعودية على نسبة ٦٪، لتكون بذلك أول بلد في العالم الإسلامي يتجاوز فيها الإلحاد حاجز الخمسة في المائة، مقابل ٧٥٪ من المتدينين و١٩٪ من السعوديين يرون أنفسهم غير متدينين! ووفقا لتصريحات لدار الإفتاء المصرية في يناير ٢٠١٤م، فإن هناك نحو ٨٦٦ ملحدا في مصر، في حين قدر آخرون عددهم بالآلاف[1].

- بلغ عدد المواقع الإلحادية التي طالها الإغلاق في ١٦ شهراً بالمملكة العربية السعودية ٨٥٠ موقعا[2].

---

(١) بي بي سي، في ٣١/ ٨/ ٢٠١٤م.

(٢) تصريح الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدكتور عبداللطيف آل الشيخ لصحيفة عكاظ، في ١٩/ ٨/ ٢٠١٤م.

- يدخل موقع «الحوار المتمدن» ٧٠ ألف زائر يومياً، ويبلغ عدد كُتَّاب المقالات فيه ١٨ ألف كاتب، ويدخل موقع «إلحاد» ١٠ آلاف زائر يوميا، ويضم ١٤ ألف عضو، و«شبكة اللادينيين العرب» يدخلها ٤ آلاف زائر يوميا، وتضم ٧٠٠٠ عضو. وعلى (اليوتيوب) هناك عدة قنوات بعضها تجاوز حاجز المليون مشاهدة! بالإضافة إلى مئات الحسابات التي تضم عضوية قليلة بالمئات أو بالعشرات[١].

- أجرى قسم المتابعة الإعلامية لـ«بي بي سي» بحثاً على شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي عن كلمة «ملحد» باللغة العربية والإنجليزية، وتبين أن مئات من صفحات فيسبوك وحسابات تويتر التابعة لـ«ملحدين» من العالم العربي جذبت آلاف المتابعين لها. ويحتوى فيسبوك على العديد من الصفحات التي تدعو الملحدين العرب إلى الانضمام إليها. وعلى تويتر، يتراوح عدد متابعي الحسابات التي يعلن أصحابها عن إلحادهم بين المئات والآلاف، فمثلا يتجاوز عدد متابعي حساب «أراب أثيست» الثمانية آلاف متابع. تضم صفحة «الملحدين التونسيين» أكثر من ١٠ آلاف متابع، وتضم صفحة «الملحدين السودانيين» أكثر من ٣٠٠٠ متابع، وكذلك تضم «شبكة الملحدين السوريين» أكثر من ٤٠٠٠ متابع[٢].

ونظرا لحساسية التصريح بالإلحاد في المجتمعات الإسلامية المحافظة والمتدينة - غالبا- فإن البعض يشكك في الأرقام المطروحة، ومن ثَمَّ في حجم الظاهرة وانتشارها. كما أن الشخصيات الوهمية التي تقف وراء صفحات الفيسبوك والتويتر وقنوات اليوتيوب والمدونات الداعية للإلحاد معظمها غير معلومة الهوية، وإن كانت هي الوسائل الإعلامية الأكثر تداولا بين الملحدين العرب.

---

(١) الإلحاد.. من يقف وراءه وكيف يروج له؟ حامد العطار، موقع إسلام أونلاين، في ١٧/ ١/ ٢٠١٦م.

(٢) الإلحاد في العالم العربي: لماذا تخلى البعض عن الدين؟ أحمد نور- قسم المتابعة الإعلامية، موقع بي بي سي، في ٣١/ ٨/ ٢٠١٥م.

لذا فإن من الصعوبة بمكان دراسة حجم ظاهرة الإلحاد، خاصة وأن الاعتراف بالإلحاد في مجتمعاتنا العربية والإسلامية يمثل انتهاكا للهوية والدين، ويوجب العقوبة الرادعة. غير أن مظاهر الإلحاد تظل ملموسة في الأفكار والآراء المبثوثة في المؤلفات أو المقالات أو الكتابات الأدبية أو عبر القنوات والإذاعات؛ وتؤتي ثمارها وآثارها على مستوى الفكر والأخلاق والسلوك والحياة العامة. ومن هنا جاءت فكرة دراسة آثار هذه الظاهرة محل النقاش والجدل العام.

مشكلة البحث:

تبحث هذه الدراسة في آثار الإلحاد الفعلية على فكر وأخلاق وسلوك الفرد، وعلى الحياة العامة للمجتمع والدولة، من منطلق تقييم أي ظاهرة فكرية أو ثقافية بنتائجها ومدى نفعيتها وصلاحيتها - كأحد أسس التقييم العلمي.

فقد كُتِبَ عن الإلحاد من حيث مصادمته للدين الإسلامي، عقيدة وشريعة ونظام أخلاق؛ وأُلِّفَ في نشأته وظروف هذه النشأة ومجتمع النشوء. كما توجد دراسات عدة تتبعت المدارس الإلحادية بكافة أطروحاتها واتجاهاتها، موثقة الآراء والرجال والتطور التاريخي وعملية الصراع الفكري التي واكبت هذه الظاهرة. وهناك من بحث في أسباب بروز الإلحاد كفلسفة مجتمعية واسعة في الغرب في القرن العشرين، وعوامل انتشاره في العالم.

وتبقى دراسة الآثار المختلفة لظاهرة الإلحاد في صدارة التقييم الحقيقي لهذا التوجه الفكري، فالآثار والنتائج تعكس حقيقة صوابية الأفكار أو خطئها. فإن الأفكار النافعة والصالحة لا تولد إلا خيرا وسعادة، والأفكار الضارة والفاسدة لا تولد إلا شرا وبؤسا. يقول تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (النحل: ٩٧).

أهداف البحث:

يهدف البحث لما يلي:

- رصد آثار الإلحاد على الفرد والمجتمع.
- استقصاء ثمرات الإلحاد في الفكر والأخلاق والسلوك والحياة العامة.
- تقييم هذه الآثار وفق ميزان النفع والصلاحية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

- الرجوع للمراجع المتخصصة والمصادر العلمية.

- استقراء آثار الإلحاد المختصة به دون سواه من الأفكار والاتجاهات الأخرى.

- الاستشهاد بأقوال المفكرين والعلماء ممن لهم خبرة في هذا المجال، أو تجربة ذاتية في معايشتها.

- الابتعاد عن الموقف المسبق من الظاهرة، والانطلاق من منظور حيادي، وتقييم الآثار من منطق عقلي ومادي وعرفي، ليكون التصور واقعيا وحقيقيا.

أسئلة البحث:

في البحث العلمي يفترض لأي ظاهرة فكرية أو اجتماعية أو طبيعية آثار ناشئة عنها، توجد بوجودها وتنعدم بعدمها، نظرا لأنَّ طبيعة الظواهر التأثير في محيطها وبيئتها والمخيال الذهني كذلك. ويحاول البحث من هذا المنطلق أن يجيب على الأسئلة التالية:

- ما هي الآثار المترتبة على الإلحاد في الفرد والمجتمع؟

- ما هي انعكاسات الإلحاد على الفكر والأخلاق والسلوك وعلى الحياة العامة للمجتمع والدولة؟

- ما مدى نفعية هذه الآثار للمجتمع الإنساني وصلاحيتها له؟

فرضية البحث:

تبحث الدراسة في التحقق من فرضيتين التالية:

أنَّ ظاهرة الإلحاد ذات آثار سلبية على الفرد والمجتمع في الفكر والأخلاق والسلوك والحياة العامة.

وهي فرضية إيجابية بين متغير مستقل وهو هنا «ظاهرة الإلحاد» ومتغير تابع وهو هنا «الآثار السلبية على الفرد والمجتمع».

منهج البحث:

يعتمد الباحث في هذه الورقة على منهج الوصف والتحليل بالقدر الذي يتيحه حجم البحث، بغية توصيف الآثار النظرية والعملية لظاهرة الإلحاد في ظل ربطها بمجتمعاته الغربية التي تأثرت بهذا الفكر على صعيد المنهج العلمي والاعتقادي أو على مستوى الممارسة السياسية والاجتماعية.

أبيض

الحالة الإلحادية.. ردة فعل متطرفة!

ظهر الإلحاد في الغرب كردة فعل طبيعية ومتطرفة إزاء ما آلت إليه أوضاع الكنيسة المسيحية في أوروبا - زمن العصور الوسطى- من انحراف وانحطاط؛ إلى الحدِّ الذي أصبح معه إصلاحها غير ممكن. هذا الانحراف والانحطاط - الذي وقعت فيه الكنيسة ورجالاتها- بدوره انعكس على صورة الدين لدى الناس، حتى باتت نصوص الدين طلاسم غيبية لا يمكن للفرد أن يفهمها أو يتأمل فيها، وباتت عقائد الدين قصصا خرافية لا توافق عقلا ولا منطقا ولا حسا، وباتت طقوس الدين أعمالا جوفاء يمارسها البلداء والبلهاء، وباتت تكاليف الدين أغلالا وآصارا على الفقراء والضعفاء تنهك أجسادهم وتأكل ثمار جهودهم لتطعمها للأغنياء وأصحاب السلطة، وبات رجال الكنيسة «رجال دين» يحاربون العقل والمعرفة والفكر، ويتهمون رجالاتها بالزندقة، ولا يقبلون برهانا ولا دليلا! وبات الإبداع والابتكار في نظر الكنيسة محرما! وبات النقد والسعي في الإصلاح والتصحيح ردة وكفرا! وأصبح القتل أسهل عقوبة تبذل للمخالف..!

لم تعد الكنيسة - غالبا- دارا للمتنسكين، وملاذا للتائبين، وملجأ للخائفين، ودرعا للمظلومين، ومدرسة للمتعلمين، وغوثا للمحتاجين؛ بل عاش رجالها في فساد أخلاقي ومالي، وبذخ من العيش، متحالفين مع ذوي النفوذ الظلمة الفاسدين في مقابل مجتمع محطم روحيا وماديا، تغتاله يد الملوك والنبلاء والإقطاعيين، ويتصارع بوحشية دموية لإشباع نزوات ذوي السلطة والثروة ورجال الدين.

ومع انفصام حركة العلم والمعرفة عن الدين، ودخولهما في صراع مباشر، نَحَى مفكرو أوروبا وعلماؤها إلى وضع النظريات البديلة لفلسفة الوجود والحياة والتاريخ والاجتماع. فظهرت الداروينية والشيوعية، والعلمانيةُ السياسية،

والوجودية الرافضة للأخلاق، والوضعية المنحازة للعلم التجريبي، والطبيعية المنكرة لما خلف عالم المادة. وجميعها فلسفات ونظريات تقاطعت وتداخلت، وقدمت رؤى تصورية مغايرة للعقائد الدينية، وأفكارا جديدة، وتفسيرات مختلفة للمعهود، وقيما حديثة تقوم على معايير وضعية.

لقد كان منشأ الإلحادِ متزامنا مع ثورة الشعوبُ الأوربيّةُ على استبداد الحُكّام وطغيان الكنيسة؛ وتبنّى تأسيسه كبارُ الفلاسفةِ والعلماء، أمثال: نيتشة، وفولتيير، وكارل ماركس، وإنجلز، وراسل، وكونت، وغيرهم من علماء التاريخ والاجتماع والطبيعة والقانون.

وكان من آثار هذه الحركة الانفعالية شقان: إيجابي وسلبي.

أما الإيجابي فتمثل في الخروج من الدين المسيحي المُحرَّف وما آل إليه وضع التدين الذي سوَّقه رجال الدين؛ فغلبت الخرافة ومصادمة حقائق الوجود والمادة والحس والعقل، وسادت حالة الغلو والتنطع المفضية إلى تقديس البشر وادعاء عصمتهم إلى حد اتصافهم بصفات الرب، وسحب خصائص الرب وإضفائها على أشخاصهم، ونطقهم باسمه ونيابة عنه، وتصرفهم في ملكوته ومصائر الخلق!

هذا الخروج من أغلال وآصار الكنيسة وكهنوتها قاد العلماء والمفكرين الأوروبيين - فيما قادهم إليه- لاستعادتهم للوعي الإنساني، وسعيهم للاسترشاد بعقولهم التي أسعفتهم - بدون شك- في الشق المادي والبشري والدنيوي، حيث أخذوا بمناهج البحث الرياضية والطبيعية والتاريخية والتجريبية لتوصلهم في كثير من قضايا الوجود لمعارف صحيحة ومعلومات دقيقة وقوانين سليمة. فكان من آثار ذلك النهضة الأوروبية التي شهدت نموا مطردا في كافة العلوم الطبيعية والصناعية، وانتهت بعلوم التقنية التي لا تزال فاعلة في العالم المعاصر بشكل يبهر العقول.

وهذا لم يكن ليتم لولا عودة علماء ومفكري أوروبا للميراث الذي توفر لديهم من الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات السابقة؛ حيث مثلت قاعدة

للانطلاق والبناء عليها، وإن لم تتم الإشارة لدى كثيرين منهم إلى تأثير الإسلام، لحساسية علاقة المجتمع الأوروبي المسيحي بالإسلام تاريخيا[1].

ولم يكن ليقوم لأوروبا نهضة عمرانية أو تقدم علمي -حقيقة- في ذات الظروف التي عاشتها في العصور الوسطى - من استبداد الملوك وطغيان رجال الدين. ومن هنا جاء الربط المنطقي بين (الدين) و(العلم) كضدين لا يلتقيان في الوعي الغربي! و(الدين) في التجربة الأوروبية لم يكن غير (النصرانية)، غير أن عقلية التعميم غلبت على وعي علمائهم ومفكريهم، دون تمييز بين دين حق وباطل. كل ذلك جرى في إطار رؤية علمانية في السياسة تفصل الدين عن الدولة.

وما يقال عن الغرب يقال عن الشرق، فإنَّ انتشار العلمانية في بلاد المسلمين كان نتيجة «غفلة العقل وخواء النفس عن التمسك بالمعتقد الصحيح»، و«جهل المسلمين بدينهم. فلقد مرت بالمسلمين فترات ساد فيها الجهل وتغلبت الخرافات، وقلَّ فيها الإقبال على العلم والتعلم، حتى وصل الحال إلى إمكان عَدِّ الذين يقرأون ويكتبون في البلد الواحد»، و«أقفل باب الاجتهاد حين غلب الجهل، وقلَّ العلماء المجددون، وجمدوا على التعصب للآراء، وتشعبوا إلى مذاهب فكرية وطوائف متعارضة يحتدم بينها التنافس المنحرف، لا لشيء إلا لأجل بسط النفوذ واكتساب الأتباع. وهذا الانحراف مثلته الصوفية بأجلى مظاهره؛ حيث نام الناس على ترديد أوراد جوفاء في معظمها للتبرك، وزهد كاذب عن الدنيا وملذاتها»، و«الناس في نظر أقطاب الصوفية أصبحوا مذنبين مقصرين في جنب الله، وحصل عند بعض المتصوفة المسلمين ما حصل للنصارى في نشوء طغيان رجال الكنيسة في تجريمهم للناس، وتحطيم معنوياتهم، والضغط عليهم للتمسك

---

(١) «إن التراث العربي الاسلامي في النواحي العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية قد انتشر سياسيا وحضاريا وحربياً في جنوب أوربا وغربا، وأسس المسلمون مراكز لحضارتهم فيها، وقد نبغ في هذه المراكز مترجمون نقلوا جوانب مهمة من التراث العربي الإسلامي إلى لغاتهم، فكانت طليطلة وأشبيلية وغرناطة وقرطبة من أشهر مراكز»؛ الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا، توفيق سلطان اليوزبكي، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد الخامس، العدد العشرون، بتاريخ: ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

برجال الدين أصحاب الجاه العريض عند الله، فبهم وحدهم أزمَّة الأمور وبرضاهم يرضى الله وبسخطهم يسخط»!! و«اخترع الصوفية في مقابل هذا الغلو النصراني مقالتهم المشهورة: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان»، و«اخترعوا أشد من صكوك الغفران عند النصارى، وهو ضمان القطب الصوفي الجنة لمن يريد، ووصل الهوس بأتباع التصوف إلى الكسل التام والخمول المخزي بحجة التوكل على الله وترك حطام الدنيا. إلى غير ذلك من مسالك الصوفية»[1].

والصحيح أنَّ «الدين السماوي النقي»، الذي لم ينله تحريف مادي أو معنوي، عندما يمتثله حملته بصدق واعتدال ليقدموا من أنفسهم قدوة في العدل والرحمة والإحسان، وفي التمكن والتطور والعمران، بعيدٌ كُلَّ البعدِ عن «الدين المحرف» وإن كان في منشئه سماويا أو «الدين الوضعي» البشري، الذي يمثل عبئا على الإنسان ومشكلة في الحياة وسدا إزاء المستقبل. لذا لما كانت الصوفية الخرافية، بطقوسها القبورية، وعقائدها الجبرية، وسلبيتها في الحياة، هي المهيمنة على المجتمع الإسلامي وجد الإلحاد الشيوعي والعلمانية السياسية طريقهما إلى بلاد المسلمين.

إن إنكار حقيقة أن الأديان المحرفة في صورتها الكنسية الكهنوتية تقف أمام التطور والعمران، وأنها تؤسس للخرافة والجهل، ومن ثَمَّ الانحطاط والشقاء والظلم، في مقابل ما تحققه العلمانية من تطور وعمران إنكار لملحوظ مشاهد. وهذا لا يبرئ العلمانية من موقفها الخاطئ من الإسلام وأصول الديانات السماوية.

أما الشق السلبي للإلحاد فهو أكبر من أن يحصر، ذلك أنه يشمل الجانب غير المرئي في الإنسان والمجتمع البشري.

وفي هذا البحث المختصر سيتم الحديث عن الآثار السلبية باعتبارها الهم الأكبر الذي يصادم الدين والأخلاق والشريعة بصورة مباشرة، ويهدم أركانها

---

(١) انظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبدالقادر السقاف، الناشر موقع الدرر السنية، ١٤٣٣هـ: ج١/ ١٥٤ - ١٥٥.

وأسسها وقواعدها. وسيبقى إقناع الملحدين بعدم تصادم الـدين الإسـلامي مـع مناهج العلم والمعرفة الصحيحة، ومع نتائج العلم والبحث العلمي، ومع الإبداع والابتكار، بل قيامه هو عليها وثناؤه لها وتوجيهه أتباعه إليها، أمرا سهلا، متى ما عرفوا حقيقة الإسلام الصافي النقي البعيد عـن محـدثات بنـي البشــر الجاهليـة. والحديث معهم حول واقعية الإسلام، وعقلانيـة الإسـلام، ومنطقيـة الإسـلام، وإنسانية الإسلام، وعدالـة الإسـلام، بهـذه الشـمولية، ودعوتـه المطلقـة للعلـم والمعرفة، والفكر والتفكر، والبحث والاستكشاف، والجدل والحـوار، دون رفـع أي شخص عن بشريته إلا في حالة النبـوة - واسـتثناء في شـق الإبـلاغ عـن الله، كفيل - إن ملكوا الحياد الموضوعي- أن يؤيد ثورتهم العلمية والمعرفية في حـدود عالم الشهادة، ومناهضتهم للدين المحرف في حدود عالم الإيمان.

أبيض

آثار الإلحاد ونتائجه السلبية

أولاً: آثار الإلحاد على الفرد:

- غياب تفسير واعٍ للحياة والوجود:

فالحياة في نظر الملحد تحصيل حاصل، لا غاية لها ولا حكمة من وجودها، لأنَّ الوجود محض صدفة، والحياة مجرد تطور غير واع وإنما أجرته الظروف الطبيعية. وهذا بطبعه مؤثر على رؤية الإنسان لذاته، ورؤيته لما حوله، ورؤيته للحياة عموما. وما يقدمه الإلحاد بإنكار الخالق والرسالات واليوم الآخر والغيب عموما هو تصور عدمي، ثم هو يترك العقل الإنساني المفرد فريسة للأفكار والآراء والنظريات المتناقضة والمتضادة والمتضاربة! وأهم ما في الأمر أنه لا قداسة لشيء، ولا يقين للبدهيات، ولا معنى للوجود. ورغم كل محاولات التفسير الإلحادي التي بذلت إلا أنها لم ترتق لتكون فرضيات علمية مسنودة بالبراهين العلمية، فضلا أن تكون تفسيرا كليا متحدا ومتجانسا وغائيا للحياة والوجود.

هذه الحالة اللا واعية تنعكس في أدب الملاحدة؛ ومن الذي لم يقرأ قصيدة إيليا أبو ماضي[1] «الطلاسم»، والتي يعكس فيها حالة التيه واللا وعي بالذات في الوجود والحياة وما وراءهما. والتي يقول في مطلعها:

جئت، لا أعلم من أين، ولكنّي أتيت
ولقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري!
أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود

(١) ولد إيليا أبو ماضي في قرية «المحيدثة» من قرى لبنان سنة ١٨٩١م، ودرس بها إلى سن الحادية عشرة، ثم انتقل إلى الإسكندرية، ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية. كان أحد أعضاء الرابطة القلمية البارزين.

هل أنا حرّ طليق أم أسير في قيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
أتمنّى أنّني أدري ولكن... لست أدري!
ويقول في ختامها:
أنا لا أذكر شيئا من حياتي الماضية
أنا لا أعرف شيئا من حياتي الآتية
لي ذات غير أني لست أدري ما هيه
فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي؟
لست أدري!
إنّني جئت وأمضي وأنا لا أعلم
أنا لغز ... وذهابي كمجيئي طلسم
والّذي أوجد هذا اللّغز لغز أعظم
لا تجادل ذا الحجا من قال إنّي ...
لست أدري!

هذا التوهان لم يتوقف عند التعبير الصريح، بل عبر عنه أدباء آخرون بلغة أكثر غموضا وتيها لتعيد رسم ملامح الفراغ الروحي والعقلي في لغة رمزية لا مدلول لها. فظهر أدب «الرمزية»(١) والذي مثل جسرا للأدب الحداثي المعاصر. وكان وراء ذلك الغموض مضامين فكرية واجتماعية، تدعو إلى التحلل من القيم الدينية والخلقية، بل تتمرد عليها. فنادى الكاتب والأديب الأمريكي «إدغار آلان بو»، الذي تأثر به رموز الحداثة وروادها، بأن يكون الأدب كاشفا عن الجمال لا علاقة له بالحق والأخلاق. وهذا ما انعكس على حياته بشكل عام، حيث كان

(١) الرمزية (بالإنجليزية: Symbolism): حركة في الأدب والفن، ظهرت في فرنسا أواخر القرن التاسع عشر، كرد فعل للمدرستين الواقعية والطبعانية، وهدفت إلى التعبير عن سر الوجود من طريق الرمز. وقد تأثر الرمزيون كثيرا بأعمال بودلير Baudelaire. ومع احتفاظهم بمبدأ «الفن للفن» فقد سعوا في المقام الأول إلى إعطاء القارئ انطباعاً عن وعيهم الباطن، معتمدين في ذلك على الموسيقى والصُّور الشعرية التي تبرز «أحلام الشاعر الداخلية». عن (https://ar.wikipedia.org) بتصرف.

موزعـا بـين القـمار والخمـر والفشـل الـدراسي والعلاقـات الفاسـدة، ومحاولـة الانتحار. وعلى خطا إدغار سار تلميذه «بودلير» ممعنا في الضـلال ومجانبـا للحـق والفضيلة[1].

وابتعد مذهب «الرمزية» الأدبي عن عـالم الواقـع، ومـا فيـه مـن مشـكلات اجتماعية وسياسية، وجنح إلى عالم الخيال، بحيث يكون الرمز هو المعبر عن المعاني العقلية والمشاعر العاطفية، في عالم مثالي افـتراضي مجهـول يسـد الفـراغ الروحـي لديهم ويعوضهم عن غياب العقيدة الدينية، وقد وجد الرمزيون ضالتهم في عـالم اللاشعور[2]!

لقد بدأ الفكر الإلحادي الحديث من «لودفيـغ فويربـاخ» (١٨٠٤-١٨٧٢)، إذ أثر فكره بشكل كبير في فكر الـذين جـاؤوا مـن بعـده مثـل مـاركس وفرويـد ونيتشه. وقد مرَّ فويرباخ بثلاث مراحل من عمره قضـاها في البحـث الفلسـفي. تمحور تفكيره في المرحلة الأولى حول الله -كـما يقـول - والثانيـة تمحـور تفكـيره حول العقل، أما الثالثة فتمحور تفكيره حول الإنسان. وانتهى به التفكـير لثلاثـة مقاربـات للـذات الإلهيـة، الأولى: أن الـذات الإلهيـة متقاربـة للإنسـان (أي أن الإنسان هو ذاته ذلك الإله المتصور)، والثانية لجوهر الطبيعة.. إذ إن الطبيعة هـي الإله واقعا، والمقاربة الثالثة تكونـت عـلى زعـم أن الإلـه مـا هـو إلا نتـاج رغبـة الإنسان، إذ تزعم الفلسفة تلك أن الدين ما هـو إلا تصـور إنسـاني تنتجـه رغبـة الإنسان في الاحتماء من الضعف والوهن والفقر لمسند تستند إليه لكي تخفف مـن آلامها.

ويقول مشير باسيل عـون، وهـو متخصـص أكـاديمي في بحـوث الفلسـفة واللاهوت، في كتابه: (نظرات في الفكر الإلحادي الحديث)، إنَّ فويرباخ لم يـرضَ

---

(١) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، د. عبدالحميد جيدة، مؤسسة نوفـل، بـيروت- ١٩٨٠م، ص١٢١، بتصرف.

(٢) انظر: الرمزية في (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤/ ١٤٢٠هـ.

برؤيته الفلسفية التي وصل إليها، إذ ما لبث أن أعاد النظر في مبتنيات أفكاره تلك، ففي عام ١٨٤٥م أخذ يتحدث عن الإنسان الفرد، ويعيد البحث في مسألة الله اعتمادا على أسس وضوابط جديدة، لكن أفكاره لم تزل تراوح مكانها إلى أن توفي(١)!

وهكذا فـ«إنَّ أوَّل الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي. وذلك أن داخل كل إنسان منا فطرة تلح عليه، وأسئلة تتلجلج في صدره: لماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وإذا كانت زحمة الحياة، وشغلها الشاغل يصرف الإنسان أحياناً عن الإمعان في جواب هذه الأسئلة، والبحث عن سر الحياة والكون فإن الإنسان يصطدم كثيراً بمواقف وهزات تحمله حملاً على التفكير في هذا السؤال، فالأمراض والكوارث، وفقد بعض الأهل والأحبة، والمصائب التي تصيب الإنسان لابد أن تفرض على الإنسان أن يفكر في مصيره ومستقبله. ولما كان الإلحاد عقيدة جهلانية -لأنه يقوم على افتراض عدم وجود إله- فإنه لا يقدم شيئاً يخرج هذا الإنسان من الحيرة والقلق والالتباس ويبقى لغز الحياة محيراً للإنسان، ويبقى رؤية الظلم والمصاعب التي يلاقيها البشر في حياتهم كابوساً يخيم على النفس ويظل الإلحاد عاجزاً عن فهم غاية الحياة والكون، ولا يقدم للإنسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلاً ولا تشفي غليلاً. ومع إلحاح نداء الفطرة الداخلي وتردد تلك الأسئلة الخالدة في النفس يظل الإنسان قلقاً معذباً»(٢).

وحتى اليوم لا يزال علماء الغرب والشرق الملاحدة يبحثون عن تفسير للوجود نشأة وتطورا وتصرفا. وتتوالد الفرضيات المختلفة المتناقضة لتهوي في

---

(١) قراءة في نظريات الإلحاد.. من فويرباخ حتى ماركس، بني جمرة وعباس الجمري، صحيفة الوسط (www.alwasatnews.com): في ٦/ ٤/ ٢٠١٥م.

(٢) الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبدالرحمن عبدالخالق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض- ١٤٠٤هـ، ط٢/ ص١٨- ١٩.

ظلمة سحيقة لا آخر لها. ومعظمها يدور حول الطبيعة والمادة وحدث ما أوجد الصورة الأولى البدائية - بزعمهم- للحياة!

وفي حين يتحدث الملحدون عن النشأة لا يقدمون رؤية عن الخاتمة والمآل الإنساني، وهنا يأت الأثر السلبي الثاني للإلحاد.

- انفلات الغرائز الشهوانية:

فالإلحاد يقطع صلة الإنسان بالآخرة، كدار أخرى للنعيم إذا ما آمن وأحسن العمل في الدنيا؛ فلا يبقى للإنسان منظور لهذه الدنيا غير المتعة واللذة الشهوانية الخالصة. ومع قصر عمر الإنسان يصبح التلذذ بالشهوات والتمتع بها في ظل التنافس عليها والتباهي بها والصراع من أجلها غايته الأسمى وهدفه الأول. فالملحد يعيش ليتمتع بالشهوات فقط، وكل جهده في الحياة مبذول لهذه الغاية؛ حتى العلم يخوضه استمتاعا ويوظفه للمتعة، أو مقابل الحصول على مردود مالي يوصله للمتعة.

فأيُّ معنى للقيم والأخلاق والإنسان محصور بين عدمين؟! من هنا توجه الإلحاد لإطلاق يد الإنسان في التصرف في كل ما حوله، وحفزه للعمل من منطلق الكسب والتمتع، فالتقت إرادة القوى الرأسمالية الصاعدة عقب انهيار النظم الملكية والهيمنة الكنسية مع فلاسفة الإلحاد فتبنت أفكارهم وروجت لها.

ويرى «ول ديورانت» أن الذي حرر عقل النهضة وحواسها إنما هي النزعة العلمانية التي أتت من نهوض الطبقات المتوسطة، والتي اتجهت نحو الجامعات والمعرفة والفلسفة والشحذ الواقعي للعقول بدراسة التاريخ والقانون وتوسيع الأذهان بالتعرف على العالم على نطاق أوسع؛ وأن الإيطالي المثقف بشكه في قطعيات العقائد المنقولة ورؤيته رجال الدين، بوصفهم «أبيقوريين» مثلهم مثل جمهور المؤمنين، قد أطلق نفسه من القيود الفكرية والأخلاقية، وابتهجت حواسه المحررة بلا رادع بكل تجليات الجمال في الطبيعة والمرأة والرجل والفن[1]!

---

(١) انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبدالرحيم صمايل السلمي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة- ١٤٣٠هـ، ط١/ ص٤٧، بتصرف.

ومع انتزاع قيم الدين والأخلاق والفطرة ظهر الانحلال في المجتمعات الغربية حتى طغى عليها. وساعد على ذلك النمو الاقتصادي وتحقق صور الرفاهية ودمج المرأة بشكل قوي في القوى العاملة تحت ضغط الحياة الجديدة. وباتت الرفاهية هي المعيار المجتمعي للسعادة، والمتعة هي المعيار الأخلاقي للمنفعة.

ولم يشهد الجنس البشري ثورة للغرائز البشرية كما شهدها عصر الإلحاد المعاصر. فسعار الجنس اليوم محور حياة الفرد الغربي الذي ما عادت تشبعه العلاقات الزوجية تحت مظلة الأسرة. وتجاوز الأمر من ممارسة الشذوذ الجنسي والإعلان به إلى مرحلة تقنينه وشرعنته وعولمته كظاهرة إنسانية طبيعية غير شاذة!

إنَّ هذا التحول لم يكن وليد يوم وليلة، بل جاء نتيجة مراحل من الانحطاط التي جرت المجتمعات الغربية التي كانت ترى «الشذوذ الجنسي» علميا وثقافيا على أنه انحراف ومرض، وأنَّ الشاذ: «هو الذي يمارس انحرافات أو صور نشاط تناسلي ليس في اتفاق مع الثقافة أو الأعراف العامة لمجتمعه»، إلى مرحلة باتت تختفي معه هذه الحساسية نتيجة اتساع دائرة الغارقين فيها من جماهير الناس نخبا وعامة، وبدأ استبدال وصف «الشذوذ الجنسي» من البحوث العلمية والخطاب الطبي والإعلامي بوصف «المثلية الجنسية»!

وقد عبَّر الدكتور «باير» - في مقال له بعنوان: سياسات التشخيص، سنة ١٩٨١م- عن هذا التحول بقوله: «لم تكن هذه التغيرات -حذف الجنسية المثلية من قائمة الأمراض واعتبارها اختيارًا شخصيًّا- نابعة من استيعاب الحقائق العلمية التي يمليها المنطق، وإنما على العكس كان هذا العمل مدفوعًا بما كان يمليه المزاج الأيديولوجي العام في تلك الحقبة من التاريخ»[1]!

هذا التحول يمكن أن يطلق عليه «ثورة جنسية». وهي ثورة تغيير جذري في العلاقات الجنسية قامت في الغرب بين نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من

---

(١) انظر مقال: الجنسية المثلية بين الوصم والتفاخر، أ.د محمد المهدي، على موقع الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية (http://maganin.com)، على الرابط: http://maganin.com/print.asp?contentId=12134 .

القرن الماضي؛ وإن كان منطلقها كتابات «فرويد»[1] حول التحرر الجنسي والقضايا الجنسية-نفسية في العشرينيات من نفس القرن.

كان من نتائج هذه الثورة انبعاث ثقافة جديدة هي «الحب الحر»، حيث اعتنق ملايين الشباب مذهب «الهيبيز: hippie»[2]، وأخذوا ينشرون أفكارهم عن قوة الحب وجمال الجنس كجزء فطري من الحياة الطبيعية؛ وأنه لا يجب إنكارها أو كبتها. وأدى هذا التوجه الجديد إلى حرية الجنس، سواءً كان المرء متزوجًا أم لا، وحرية منع الحمل والإجهاض، وحرية العري العلني، وحرية الشذوذ الجنسي!

ومع اتساع هذا الأمر والإباحية الإعلامية الفاضحة، وتشكلت الجمعيات المدافعة عنه، والمنظمات الراعية له، والقوانين المشرعة والمنظمة له، وظهرت تجارة الجنس - أو ما يعرف بالرقيق الأبيض- كثالث تجارة تتصدر النشاط الإجرامي الربحي بعد تجارة السلاح والمخدرات، بل والأكثر نموا[3]!

- النزعة الفردية الأنانية النفعية:

تيهان فطري، وفراغ روحي، ونزعة مادية في المعرفة، وانفلات شهواني للغريزة، محصلة الفرد الغربي من الإلحاد وانخلاسه من الدين والأخلاق بالمطلق. وبهذا فإنَّ أي حديث عن علة للوجود الجمعي للإنسان تضمحل، ما يدفع الفرد إلى الأنانية المطلقة والنظرة المنفعية التي تدور حول لذاته هو ومتعه، غير مبالٍ بمن حوله، طالما وأنه لا غاية خلف الوجود والحياة غير الفناء.

---

(١) سيغموند فرويد (١٨٥٦م- ١٩٣٩م): طبيب نمساوي من أصل يهودي، اختص بدراسة الطب العصبي، ويعتبر مؤسس علم التحليل النفسي. كان مفكرا متحررا، وله نظريات عدة في شأن العقل واللاواعي والجنس

(٢) هي ظاهرة اجتماعية، كانت بالأصل حركة شبابية نشأت في الولايات المتحدة في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين ثم ما لبثت أن انتشرت في باقي دول الغربية. وتعتبر هذه الحركة مناهضة للقيم الرأسمالية، حيث ظهرت بين طلاب بعض الجامعات في الولايات المتحدة كظاهرة احتجاج وتمرد على قيادة الكبار التي أوصلت العالم لحربين عالميتين مدمرتين خلال ٣٠ سنة، وعلى مظاهر المادية والنفعية وثقافة الاستهلاك. (https://ar.wikipedia.org)، بتصرف.

(٣) كما أكدته دراسة حديثة صادرة عن مركز دراسات اللاجئين بجامعة أكسفورد البريطانية. وبحسب الدراسة ذاتها فإن ٩٨٪ من الضحايا هم من الفتيات والأطفال، وأن أرباحها تقدر بنحو ٢٧ مليار دولار سنويا. انظر تقرير قناة الآن: (http://www.alaan.tv)، على الرابط التالي:

http://www.alaan.tv/news/world-news/143987/on-the-international-day-for-the-fight-against-slavery-about-312-million-people-remained-in-the-clutches-of-slavery.

هكذا نشأت الرأسمالية كسوق حرة يتاجر فيها بكل شيء، ويصبح فيها البقاء للأقوى باعتبار أن القوة معيار الصلاح للبقاء. وعوضا عن عبودية الأباطرة والكنيسة أصبح العمال والمستهلكون عبيد أصحاب رأس المال الذين يبحثون خلف المكاسب والأرباح غير مبالين بغيرهم ضعيفا كان أو محتاجا أو معدما. وبات الحصول على المال غاية في ذاته تكسر لأجله كل القيود وتستباح معه جميع المحرمات، خاصة وأن طبقة رجال الأعمال باتت هي المؤثر في صناعة التشريعات والقوانين بوصولهم للبرلمانات.

فمع انتصار الليبرالية الكلاسيكية في الفترة (١٧٧٦م- ١٩١٤م) على الصعيدين السياسي والاقتصادي حقق المجتمع الغربي نموا اقتصاديا غير مسبوق، ودارت عجلة الصناعة وحركة الإنتاج. وعملت الطبقة الرأسمالية على مقاومة تشريعات العمل والأجور ونظام الطوائف الحرفية ونقابات العمال، وعلى الحد من مساعدة الفقراء، وإطلاق حرية التجارة عبر البحار، وتخفيض الضرائب.. وهي جميعا تشريعات تصب في صالح ما عرف بالطبقة «البرجوازية»!

وكما شهدت هذه الفترة صعود أصحاب رؤوس الأموال شهدت كذلك صعود النماذج الديكتاتورية المستبدة في الحكم، والتي تستمع بتحقيق رغباتها السلطوية في العنف والدموية؛ والتي لا تقف أمام مطامعها «الشيفونية» أي حدود. وهكذا ظهرت حقبة دموية استعمارية ارتكب في ظلها الحروب المدمرة، والإبادات الجماعية، وصور الاسترقاق والتعذيب المذلة للإنسانية؛ وتعززت الروح العنصرية والقومية، وانطلق السباق في سبيل امتلاك الأسلحة الفتاكة والقوى العسكرية المدمرة لاقتسام النفوذ العالمي من أجل الحصول على الثروات!

لقد ظهر في عصور الإلحاد قادة ديكتاتوريين أمثال:

- نابليون بونابرت الأول (١٧٦٩م- ١٨٢١م)، القائد العسكري الفرنسي ذي النزعة التسلطية، والذي قاد حربا توسعية في أوربا خلال العقد الأول من

القرن التاسع عشر، عُرفت باسم الحروب النابليونية، وأحرز فيها انتصارات باهرة على جميع الدول التي حاربها، وجعل من فرنسا مركزًا رئيسا يتحكم في شؤون جميع الدول الأوروبية تقريبًا. وهذا دفعه للتوسع في حروبه خارج القارة الأوروبية. وإليه يُنسب القانون المدني الفرنسي، المعروف باسم قانون نابليون. ويقول منتقدو نابليون: إنه لم تكن لديه أية مشكلة في التضحية بآلاف -بل بملايين- الأشخاص في سبيل الوصول إلى هدفه، وأنه في سعيه إلى السلطة المطلقة أشعل نار الحرب في أوربا وأجج النزاعات فيها، متجاهلاً المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين تلك الدول وفرنسا وبينها فيما بعضها في سبيل الحفاظ على السلام. كما أنه سمح لجنوده بنهب المدن والبلاد التي دخلوها؛ ما جعل متاحف فرنسا غنية بالتحف والآثار التي سرقت أثناء الغزو. وهو السلوك الذي قلده فيه القادة العسكريون اللاحقون له في غزواتهم، مما حرم الكثير من الدول من كنوزها القومية.

- بينيتو أندريا موسوليني (١٨٨٣م- ١٩٤٥م) الحاكم الإيطالي ومؤسس الحركة الفاشية الإيطالية. لقد هيأت الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية التي عانت منها إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى لموسوليني - المتحول من الاشتراكية إلى الفاشية- القيام بحملة حرك من خلالها الغرائز المتطرفة، لعدد كبير من العاطلين عن العمل من الجنود المسرحين ومن ذوي السوابق الإجرامية وفلول عصابات الإجرام المنظم، وصياغتها في أيديولوجية متعصبة عنيفة، وملأ الفراغ السياسي والأيديولوجي والروحي المتأزم ليكون حزبه الفاعل المؤثر مع عجز الحكومة ويصبح هو القائد الموجه. وفي عام ١٩٣٢م عين رئيسا لوزراء إيطاليا.

موسوليني الذي ورث عن أبيه الإلحاد - كما يقول- كان معاديا للكنيسة، وكان في مقالاته يدعو إلى تصعيد العداء مع رجال الدين وإغلاق دور الكنائس لخطورتها على تفعيل العقل الذي استسلم لأصحاب النفوذ والجاه. ورغم فشل حزبه الذي أسسه «الحزب الفاشستي»، إلا أنه عندما تمكن من السلطة ألغى كافة

الأحزاب وقتل معارضيه من الاشتراكيين والشيوعيين، وقمع حرية الرأي والتعبير وأغلق الصحف. وكانت نزعته السلطوية تكفر بالسلم وفائدته، وكان يرى الحياة نضال وقهر، لذلك دفع باتجاه توسع إيطاليا باتجاه الاستعمار الخارجي، لإعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية القديمة، وكان يحلم علناً بأن يسيطر على كل حوض البحر الأبيض المتوسط، وأن يحوله إلى بحيرة إيطالية، وأن ينشئ إمبراطورية تمتد من الحبشة إلى ساحل غينيا الغربي.

- أدولف ألويس هتلر (١٨٨٩م- ١٩٤٥م) سياسي ألماني، وزعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني والمعروف بـ«الحزب النازي». في عام **١٩٣٣**، تم تعيينه مستشارًا للبلاد - وهو منصب أعلى في الدولة. وقد عمل في عهده على إرساء دعائم نظام تحكمه نزعة شمولية وديكتاتورية فاشية، انتهج فيها سياسة خارجية تهدف للاستيلاء على ما أسماه بـ«المجال الحيوي»، أي المناطق التي تؤمن الوجود والرخاء الاقتصادي لألمانيا النازية. وبالفعل وجه موارد الدولة وقوى المجتمع نحو تحقيق هذا الهدف، وخاض حروبا عسكرية عنيفة ودموية تسببت في حرب عالمية ثانية.

استطاع هتلر أن يكسب تأييد الجماهير لسياساته عن طريق إقناع معظم الشعب الألماني بأنه سينقذهم من موجة الكساد الاقتصادي التي اجتاحت العالم عقب الحرب العالمية الأولى، ومن براثن الشيوعية، ومن تأثير الأقليات الأخرى، رافعا شعارا قوميا عنصريا متطرفا!

عمل هتلر على بناء قوة ألمانيا العسكرية والدخول في أحلاف جديدة وتوسيع نفوذه في أوربا مطلقا، من ثَمَّ بدأ حروبه التوسعية التي قادت فيما بعد إلى الحرب العالمية الثانية التي شاركت فيها دول آسوية وأوروبية كبرى، وراح ضحيتها ملايين البشر!

لم ينشأ عن الإلحاد مجتمعٌ وردي ولا دولٌ وردية، بل عاشت أوروبا فترة صراعات مريرة سياسية واجتماعية عقب خروجها من العصور الوسطى

واقتحامها ما يوصف بـ«عصر التنوير» في القرن الثامن عشر ميلادي. ولم تكن هي الوحيدة التي عانت من هذه الموجة الإلحادية وآثارها.

- ففي الصين ظهر ماو تسي تونغ (١٨٩٣م- ١٩٧٦م)، زعيم الحزب الشيوعي الصيني منذ عام ١٩٣٥م. تولى الحزب الشيوعي السلطة في الصين عام ١٩٤٧م، واستخدم ماو أساليب عنيفة ليحكم قبضة الحزب على السلطة، فقتل العديد من أعداء ثورته ومخالفيه السياسيين. تحالف مع الاتحاد السوفييتي وتبنى سياسة اشتراكية تقوم على الفلاحين، خلافا لرؤية كارل ماركس التي تعتمد على العمال. ووجه كل تركيزه إلى التنمية الزراعية. وعمل على تطوير مفهوم جديد للشيوعية سُمّي «بالماوية»، وكان مزيجا من شيوعية لينين وماركس.

أدار ماو المجتمع من خلال سيطرته على كل أجهزة الدولة، وجعلها في قبضته. وأدت سياساته إلى إخفاقات عدة ومجاعات متعددة ووفاة مئات الآلاف من البشر. فقد شهدت الصين أكبر مجاعة إنسانية نتيجة سياسته الاقتصادية التي وصفت بأنها «القفزة الكبرى إلى الأمام- Great Leap Forward»، والتي أطلقها عام ١٩٥٨م بغية تحويل الصين لأكبر دولة صناعية. وهلك نتيجة هذه المجاعة - حسب بعض التقديرات- ما بين ١٥- ٣٠ مليون صيني، بين عامي ١٩٥٨م و١٩٦٢م(١).

لقد صنف ماو تسي تونج على أنه أكبر مجرم في تاريخ الجنس البشري على الإطلاق، فقد مات من ٤٠- ٧٠ مليون نسمة بسبب سياسات التجويع والعمل القسري والإعدامات والإبادة الشمولية وقتل الأثنيات والعرقيات المختلفة. بل أصبح الانتحار في فترة حكمه ظاهرة متكررة على مدار الساعة طوال اليوم في شوارع الصين(٢).

- وفي روسيا ظهر جوزيف ستالين (١٨٧٨م- ١٩٥٣م)، القائد الثاني للاتحاد السوفييتي ورئيس الوزراء خلال الفترة: ١٩٤١م- ١٩٥٣م. كان زعيما

---

(١) انظر: Holmes, Leslie. Communism: A Very Short Introduction (Oxford University Press, 2009)

(٢) انظر: الإلحاد يُسمم الشعوب، د. هيثم طلعت، موقع إسلام ويب، في ٨/ ٢/ ٢٠١٦م.

شيوعيا عرف بقسوته وقوته. عُرف بعنفه ودمويته وقضائه على خصومه ومخالفيه. ومن أبرز جرائمه «مجاعة أوكرانيا الكبرى- Ukrainian Great Famine»، والتي ارتكبها عام ١٩٣٣م لتأديب الشعب الأوكراني، وراح ضحيتها قرابة ٤ مليون أوكراني. وسياسة التجويع القمعية التي اتبعها ستالين طبقت في كثير من مقاطعات الاتحاد السوفييتي أبان حكمه، وذهب ضحيتها وضحية الإبادات الوحشية قرابة ٣٠ مليون شخص.

- وفي كمبوديا وصل الملحد «بول بوت» -أو «سالوث سار»- للحكم في الفترة (١٩٧٦م- ١٩٧٩م)؛ فأباد ٢٥٪ من شعبه باسم الإلحاد والفلسفة المادية خلال ٣ سنوات قضاها في الحكم؛ وهي نسبة مسجلة رسميًا في دفاتر الدولة. وفي دراسات ميدانية لاحقة تبين وجود ٢٠ ألف مقبرة جماعية عملاقة استخدمها الملاحدة لدفن قرابة ٣ مليون نسمة من الشعب الكمبودي طبقًا لـ«اليونيسيف».

لم يكن بول يؤمن إلا بالإنسان المادي الذي يسير في حتميات مادية - ترس في آلة- إنسان بلا أدنى معيارية ولا قيمة ولا معنى ولا يحمل داخله مفردات شخصية مستقلة تميزه كونه مخلوقًا لله، ولا يكترث بالغاية وتصبح الأرض من وجهة نظره مادة استعمالية وغايته تحقيق أقصى إشباع ممكن منها لا أكثر(١)!

هذه بعض نماذج الطغيان الفردي الذي قدمه الملاحدة في تاريخ قصير، وهي نماذج ما كان لها لتظهر بهذه البشاعة - التي لا تسعف طبيعة الورقة استقصاءها- لولا إلحادها، ونزوعها للأنانية والفردية المطلقة. وإذا ما رأينا بشكل أدق إلى طبيعة الحياة الشخصية لأفراد المجتمع الملحد لوجدناها تنضح بالجرائم المختلفة والعنف الدموي بحثا عن المتعة وإشباعا للشهوة. فلا رادع للجريمة في المجتمعات الملحدة إلا السلطان ورقابة الدولة، فلا ضمير يؤنب ولا رب يخشى ولا يوم آخر يتقى.

(١) انظر: المرجع السابق.

ثانياً: آثار الإلحاد على المجتمع:

هذه الملامح الثلاثة التي غلبت على الفرد الملحد، ألا وهي: غياب التفسير الواعي للحياة والوجود، والانفلات في الغرائز الشهوانية، والنزعة الفردية الأنانية النفعية، كانت ذات أثر بالغ في تشكيل المجتمع الملحد عموما. فهو مجتمع بلا هوية وبلا أخلاق وبلا روابط، منقاد لأي دعوى، ومتقبل لأي ممارسة، ومنقسم على نفسه إلى حد التناقض والصراع.

إن طغيان الكنيسة الذي كان يجر البؤس على الناس استبدل بطغيان الأحزاب الشيوعية والأحزاب القومية الشيوفنية التي مارست أعظم صور الإرهاب والتعذيب والتنكيل. وكان لكل حزب من هذه الأحزاب كهنته الذين يضعون أفكاره ويصوغون شعاراته ويبشرون به مخلصا ومنقذا!

وعوضا عن استبداد الملوك ظهر حكام ديكتاتوريون يبيدون الناس لأجل أفكار بشرية ومشاريع اقتصادية وتجارب علمية وأطماع توسعية. وأبيد في حروبهم من البشر أعظم مما أبيد في قرون كاملة!

وخلافا للطبقية الاجتماعية ظهرت طبقيات جديدة في المجتمع الملحد لا تقل سوءا عن مثيلاتها في المجتمعات الأوروبية خلال العصور الوسطى! ولا يزال المجتمع الغربي يعاني من ذات الفرز الطبقي على أسس قومية أو عرقية أو إثنية أو اقتصادية. وفي حين يعيش قلة قليلة ثراء فاحشا يعيش معظم الناس في مستوى معيشي سيء؛ وإن كانت السياسات الحكومية وطبيعة التوازنات الاقتصادية تؤثر في ترميم الفوارق بين هاتين الطبقتين -بين فترة وأخرى- في الدول العلمانية الرأسمالية.

وفي حين كان يناقش بعض رجال الكنيسة حقيقة طبيعة المرأة وازدرائها ناقش الملاحدة حقيقة الإنسان من حيث هو، ووضعوه في سلم التطور لكئنات حيوانية! ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل أصبحت علاقة المرأة بالرجل وطبيعة الأدوار بينهما محل نقاش، لينتهي الأمر بهم إلى الحركة «الأنثوية» المنادية بفك العلاقة بين الجنسين واستغناء كل منهما عن الآخر[1]!

---

(١) هي حركة تحررية راديكالية متطرفة، تطالب بالمساواة بين الجنسين إلى حد التطابق التام، وإلغاء كافة الفوارق بينهما، وتتجاهل الفوارق البيولوجية وأثرها الجوهري في تحديد أدوار كل منهما (الجندر). وتعتبر الزواج بين =

لقد رفض الإلحاد خرافة الكنيسة وضلالها لكنه عمل على تدمير كافة المسلمات والبدهيات وشكك في قطعيات مستقرة في الفطرة والوعي الإنساني، وبذلك لم يعد للمجتمع الإنساني ثوابت ولا قطعيات يحتكم إليها! وكل شيء في ضوء هذا الانعتاق مباح، فلا تحريم ولا قيد!

لقد بدت آثار الإلحاد على المجتمعات في ثلاثة ظواهر:

- الانتحار:

يخرج الإنسان إلى الوجود مزودا بغريزة البقاء والعيش، ومندفعا للحياة والتعاطي مع تحدياتها وعقباتها، مهما واجهه من عناء. وتبقى ظاهرة «الانتحار» وأن يقضي الإنسان على حياته باختياره شاذة وخلافا للفطرة. ومع انتشار الإلحاد كثقافة عالمية برز الانتحار كظاهرة عالمية حاضرة بقوة في المجتمعات.

ورغم أنَّ هناك أسباباً عدة خلف الانتحار، وتختلف الدوافع من شخص إلى آخر، إلا أنَّ كثيرا من الدراسات النفسية تؤكد أن الاضطرابات النفسية - مثل القلق والاكتئاب والانهيار النفسي- تحت تأثير ضغوطات الحياة المادية والاجتماعية تقف وراء هذه الظاهرة بالدرجة الأولى.

فإذا كان الإلحاد سببا من أسباب هذه الاضطرابات النفسية النابعة من فقدان الهوية وتيهان الوعي وغياب أي معنى رسالي للوجود وغائي للحياة، فإن من الطبيعي أن يكون الانتحار أثرا من آثاره.

وإذا كان ينتحر سنويا قرابة مليون شخص في مُختلف أنحاء العالم، أي بمعدل تقريبي انتحار إنسان كل ٢٦ ثانية، فإن أكبر معدلات الانتحار -بحسب الإحصائيات التي توفرها (منظمة الصحة العالمية) وغيرها- تشهدها دول ملحدة وعلمانية، سواء على مستوى أوروبا أو آسيا أو أمريكا.

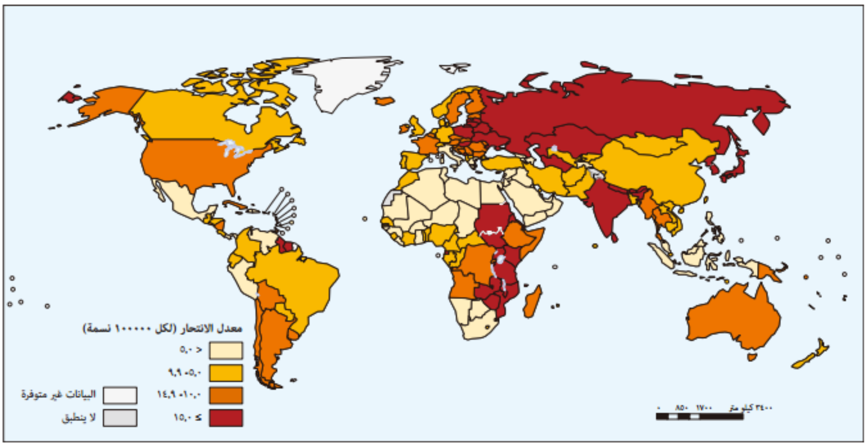
= الجنسين قيدا، وتدعو للزواج المفتوح (ذكر بذكر) و(أنثى بأنثى) وتشكيل الأسرة غير النمطية، وتطالب بممارسة الحرية الجنسية المطلقة، ومن ثمَّ حرية الإجهاض. انظر للفائدة: الحركة النسوية في اليمن تاريخها وواقعها، أنور بن قاسم الخضري، سلسلة إصدارات البيان، ط١/ ٢٠٠٧م.

ومقابل كل شخص يمُوت مُنتحرًا هنالك عدد كبير ممن يُحاولون الانتحار. ويبلغ المعدل العالمي لنسبة الانتحار ١٤,٥ عن كل ١٠٠ ألف نسمة. وتشير الإحصائيات إلى ارتفاع نسبة انتحار الرجال بشكل كبير في الخمسين سنة الماضية، كما ارتفعت نسبة المُسِنّين المُنتحرين بشكل عام، لتصبح أوَّل فئة معنية بالانتحار، خاصة في الدول المتقدمة.

إنَّ من بين أهم الدول التي ترتفع فيها نسب الانتحار: روسيا وبعض دول الاتحاد السوفييتي السابق، ودول شرق أوروبا مثل روسيا، وأوكرانيا، وبروسيا، والمجر، والصين، واليابان، والدنمارك، وفنلندا، والنمسا، وسويسرا، والسويد، وفرنسا، وألمانيا، وبلجيكا، وآيسلندا. وتحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة ٢٢ في معدل ظاهرة الانتحار، بنسبة ١٠,٤[1].

وتشير التقديرات إلى حدوث ما يقرب من ٨٠٤,٠٠٠ حالة وفاة بسبب الانتحار حول العالم في عام ٢٠١٢م، وهو ما يمثل مُعدل الانتحار العالمي السنوي الـمَقَّيس حسب العمر، وهو ١١,٤ لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة (١٥ للذكور و٨ للإناث).

الخريطة ١. معدلات الانتحار المقيسة حسب العمر (لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة). كلا الجنسين، ٢٠١٢



(خارطة توضح توزيع نسب الانتحار على دول العالم)

(المصدر: الوقاية من الانتحار ضرورة عالمية، منظمة الصحة العالمية، ٢٠١٤م)

---

(١) يمكن الرجوع إلى تقارير منظمة الصحة العالمية: http://www.who.int .

- **الجريمة:**

اقترنت التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الغرب بنمو مطرد لعالم الجريمة، فقد مثلت أجواء الصراعات السياسية والحالة الاقتصادية المنهارة التي شهدتها أوربا والولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب التطور الصناعي والتحولات الفكرية والاجتماعية بيئة ملائمة لظهور الجريمة كأحد أبرز ملامح المجتمعات المعاصرة حضورا.

لم تكن الجريمة في الغرب في معظمها بدافع الحاجة والفقر بل بدافع الغريزة الإجرامية التي أطلقتها دعاوى الحرية والرؤى المادية والسباق المحموم على متع الحياة وشهواتها. وأصبحت ظاهرة «المافيات» والجريمة المنظمة محل اهتمام المفكرين والباحثين وعلماء النفس والاجتماع لعقود.

ففي روسيا مثلا هناك ثلاثة آلاف عصابة منظمة. وتقوم هذه المافيات والعصابات بجرائم عابرة للحدود، كما في حالة صناعة وترويج المخدرات التي تبلغ ٥٠٠ مليار دولار سنويا، أو تجارة غسيل الأموال التي تبلغ في أوربا وأمريكا ١٠٠ مليار دولار سنويا خلال عقد ماضٍ[(١)].

وفي شأن واقع الجريمة يذكر مؤلفا كتاب (يوم أن اعترفت أمريكا)[(٢)]، «جيمس بتروسون» و«بيتر كيم» أن الإحصائيات تشير إلى تضاعف عدد نزلاء السجون في الولايات المتحدة الأمريكية فيما بين الثمانينيات والتسعينيات إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه من قبل؛ حيث بلغ عدد المساجين ٩٥٠,٠٠٠ نزيل فيما بين عامي ١٩٨٠م- ١٩٩٣م. وهذا يعني أن نحو مليون من المواطنين الأمريكيين اتهموا بجرائم تخطت الحجز في مراكز الشرطة إلى دخول السجون! وأشاروا إلى أن معدلات الانتحار بين الشباب الأمريكي أكثر من معدلات

---

(١) انظر: حالات فوضى.. الآثار الاجتماعية للعولمة، معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م.

(٢) صدر الكتاب باللغة الإنجليزية عا ١٩٩١م، في ٢٧٠ صفحة، وقام بترجمته الدكتور محمد بن سعود البشر، ط١/ ١٤١٥هـ.

الانتحار في أوروبا بعشرين ضعفاً، وأكثر من معدلات الانتحار في اليابان بأربعين ضعفاً.

وذهب المؤلفان إلى أن الإحصاءات الرسمية للجريمة في أمريكا تثير نوعاً من الشك لديهم، لأن الأرقام التي توصلت إليها دراستهم -في هذا الصدد- تزيد بنسبة ٦٠٠٪ عن إحصاءات الجريمة المسجلة رسمياً لدى الجهات المختصة!

وفي حين بلغ عدد السجناء في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١م أكثر من مليوني سجين موزعين على أكثر من ١٥٠٠ سجن(١). وتشير بعض التقديرات إلى أن عدد نزلاء السجون الأمريكية في عام ٢٠٠٣م بلغ ٧ ملايين سجين! وتكلف الجريمة الولايات المتحدة الأمريكية مئات المليارات من الدولارات التي تصرف في علاج الضحايا، والتعويضات والتأمين، وجهاز الشرطة، وإدارة السجون.

لقد باتت بعض الدراسات المتعلقة بالإجرام في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية تحديدا تقدم الأرقام بمعدل الثانية في ارتكاب الجريمة. وفي إحدى الإحصائيات هناك ٤ جرائم ترتكب كل ثانية في أمريكا ما بين خطف وسرقة(٢).

ومع الحديث غربيا عن حقوق الإنسان وكرامته إلا أن جرائم «الرقيق الأبيض» والمتاجرة بالأطفال والنساء رائجة في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، فالإحصائيات تشير إلى وجود ما بين ٢٠٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف امرأة وفتاة يعملن في سوق الدعارة بأوروبا(٣). وتقول إحصائية صادرة عن وزارة الداخلية الأوكرانية إن حوالي ٤٠٠ ألف امرأة وفتاة دون سن الثلاثين غادرن أوكرانيا خلال السنوات العشر الماضية عن طريق عصابات المافيا.

وقدرت وزارة الخارجية الأمريكية عدد الأطفال والنساء اللواتي تتم المتاجرة بهن في أغراض الدعارة بـ٧٠٠ ألف حالة(٤). كما أكدت دراسة قامت بها جمعية

(١) صحيفة القدس العربي، العدد ٣٨١١.

(٢) صحيفة النخبة: عدد محرم ١٤٢٤هـ.

(٣) مجلة المجتمع الكويتية: ١١ من ربيع الثاني ١٤٢٩هـ.

(٤) موقع وزارة الخارجية على الإنترنت: www.usinfo.state.gov.

حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة بيع ٢٠ مليون طفل خلال السنوات العشر الأخيرة ليعيشوا طفولتهم في ظروف معيشية قاسية[١].

ويقدر عدد الأطفال الذين يتم استغلالهم في العالم بنحو ٢٤٦ مليون طفل، منهم -وفق إحصائيات الأمم المتحدة- أكثر من مليوني طفل يتعرضون للاستغلال الجنسي ويعاملون معاملة الرقيق.

وتعتبر الإباحية الرقمية صناعة حقيقية، تدر سنويا ما بين ١٠ إلى ١٥ مليار دولار في أمريكا فقط، وتقف وراءها شركات كبرى حول العالم، ولها معارض ترويجية ومراكز أبحاث.

وفيما يعبر عن القلق والرغبة في العيش خارج الواقع وتحت تأثير النشوة فإنَّ الشعب الأمريكي من أكثر شعوب العالم إدماناً للمخدرات. وتشير الإحصاءات إلى أن ٣٥٪ من الأمريكيين يتعاطون مخدر الماريجوانا، و١٥٪ يتعاطون الكوكايين، و٢٤٪ يتعاطون أنواعاً أخرى من المخدرات.

وبعض الإحصائيات تشير إلى أن عدد مدمني المخدرات في الولايات المتحدة يبلغ ٢٥ مليون مدمن، ويبلغ ما ينفقونه على المخدرات في العام الواحد ١٨٥ مليار دولار[٢]. هذا على الرغم من طبيعة الرفاهية التي يتمتع بها معظم الشعب الأمريكي في العيش.

- **التفكك:**

الإنسان مدني بالطبع، والمجتمعات البشرية لا تقوم بغير روابط ووشائج تؤلف بين أفرادها ومكوناتها في سبيل الحفاظ على مصالحهم وضمان ديمومة بقائهم. وفي حين يعزز الدين العلاقة بين الزوجين باعتبارها علاقة مقدسة، ويعزز الأواصر الأسرية بين الآباء والأبناء، ويحث على صلة الرحم، وعلى حق الجار، ورحمة الناس والتودد لهم، في إطار منظور يعيد البشرية جمعاء إلى أصل

---

(١) مجلة الدعوة: العدد ١٧٨٣.

(٢) انظر: الإسلام والغرب، د. عبدالودود شلبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١/ ٢٠٠٤م: ص١٣٣.

واحد ومنشأ واحد وخالق واحد. ولا يتوقف هذا التوجيه على ما يتحقق من هذه العلاقات والروابط في الدنيا مـن منـافع بـل يتعـداها إلى الثـواب الأخـروي، أو العقاب على ضياعها.

يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات: ١٣). ويقول سبحانه: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)**﴾ (محمد).

إن أعزَّ ما دمره الإلحاد في البشرية الأسرة، الخليـة الأولى للبنـاء الاجتماعـي. فقد أدى الإلحاد إلى إشـاعة الفـواحش وإطـلاق الغرائـز الجنسـية خـارج إطـار الزوجية. فنشأ عن هذه الممارسات ضياع الأنساب واختلاط الأرحـام، فـلا يجـد المولود رعاية ولا أسرة مرتبطة ينتمي إليها. وقد سجلت دول الاتحاد السـوفييتي – سابقا– وأوربا وأمريكا معدلا مرتفعا لأبناء الزنى مع تصاعد موجة الإلحـاد في العالم.

فنشأ جيل لا يعرف من العلاقات التي تحكم تصرفه في الحياة غـير علاقـات المنافع المادية والمصالح الشخصية، أو الجنس والمتعة. فنظرته للارتباطات الزوجية نظرة للقيود، فلا يوجد شعور بأهمية الأسرة والأبناء، وإنما هي المتع. كما أنَّ فكـرة المساواة المطلقة التي جعلت من المرأة ندا للرجال في ميادين العمل أخرجت المرأة من دورها الطبيعي كزوجة وأم. لذا يعيش الكثير من الأفراد خارج إطار الزوجية وتبعاتها، وتنتشر العلاقات الجنسية كعلاقات متعة لا تهدف للإنجاب.

في ٢٩ ديسمبر ٢٠١٢م، نشر موقع «B.B.C» الإخباري خبرا حول «ارتفـاع معدلات التفكك الأسري في المملكة المتحدة»، حيث جاءت في المرتبة الرابعة –في تصنيف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وسبقتها بلجيكا ولاتفيا وإسـتونيا.

فبحسب دراسة للمنظمة لا يعيش سوى ٦٨٪ من الأبناء مع والديهم؛ فيما كانت نسبة ألمانيا ٨٢٪، وإيطاليا ١, ٩٢٪، والولايات المتحدة ٧, ٧٠٪.

وأشار مدير الاتصالات بمؤسسة الزواج البريطانية «هاري بنسون» إلى أن التفكك الأسري يكلف الحكومة البريطانية ٤٤ مليار جنيه استرليني كل عام.

هذا التفكك الأسري ينتج «الفرد المتجاوز» ، الذي يفكر باحتياجاته على حساب الآخرين -حتى وإن كان أحد أفراد أسرته، كما نوَّهت إلى ذلك منظمة «جوزيف راوند تري» البحثية المتخصصة في المسائل الاجتماعية[١].

هذا الوضع الاجتماعي ونسب الطلاق المرتفعة، وانخفاض معدلات الإنجاب دفعت مفكرين غربيين عدة للتنبوء بانهيار الحضارة الغربية. من ذلك مثلا الفيلسوف والمفكر الألماني «أوزوالد اشبنجلر»، في كتابه (انحدار الغرب)، وهو كتاب مترجم للعربية[٢]. وملخص ما ورد في هذا الكتاب استشراف مستقبل الحضارة الغربية الآهل للانهيار؛ وفق دراسته لانهيار عدد من الحضارات القديمة، وإسقاطه أسباب السقوط على واقع الحضارة الغربية المعاصرة اليوم.

(١) انظر: واقع الأسرة في الغرب، باتريزيا بيللوني -كاتبة مسلمة بريطانية من أصل إيطالي، مجلة البيان الإسلامية، العدد ٢٧٦، في ٦/ ١١/ ٢٠١٠م.

(٢) ترجم الكتاب أحمد الشيباني، في جزئين اثنين، تحت عنوان: تدهور الحضارة الغربية، وهو من مطبوعات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان.

الخاتمة

لا شك أن ورقة بهذا الحجم لا تستطيع أن تعطي الموضوع حقه خاصة وأن مدة الإعداد لا تسمح بقدر كاف للرجوع إلى كافة المصادر والبيانات والمعلومات المتعلقة بالبيئة الغربية التي يمثل الإلحاد فيها ظاهرة واضحة على صعيد الكفر المطلق أو العلمانية المعتدلة التي تنحي الدين عن الحياة العامة سياسيا. كما أن ربط كثير من هذه الآثار بظاهرة الإلحاد بدون تأكيد يستلزم تحليل بنى المجتمع الغربي وفق نظرته الفكرية، غير أن ما يسعفنا في هذا الصدد هو أن القاعدة المنطقية والعرفية تؤكد أنه لا يمكن فصل البيئة عن ثمراتها، فالثمار نتاج بيئتها. وليس تجنيا أن واقع هذه الآثار السلوكية والفكرية في الفرد والمجتمع في الغرب هي نتاج بيئة الفكر والثقافة السائدة والموجهة للوعي والوجدان ومن ثم الفعل والحركة.

ويبقى أن نذكر بأنَّ صيحات النذير التي تعلو في الغرب من قبل المفكرين والعلماء والمختصين في علوم النفس والاجتماع أو حتى السياسة والاقتصاد خير شاهد على أنَّ هذه الآثار ليست من فراغ بل هي حصاد قرون مضت خرجت فيها أوربا من الدين المحرف بحثا عن الحقيقة الضائعة، والتي لم تجدها في العقل وحده. وهي اليوم ترى جناياتها على البشرية. وليس أمامها والغرب غير طريقين:

إما العودة إلى الدين المسيحي الذي ارتدت عنه معرفة وعيا!

وإما الدخول في الإسلام كدين رباني يهدي العقل ويحي الروح ويعمر الأرض!

وما سوى ذلك الفناء والزوال.

أبيض